الشابُ المدلل مصعب بن عمير

الخطبة الأولى :

الحمدُ للهِ عزَّ واقتَدَرَ، لا مَحيدَ عنه ولا مَفرَّ، نحمدُه سبحانَه ونشكُرُه ،وقد تأذَّن بالزيادةِ لمن شَكرَ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةً تُنجِي قائلَها يومَ العرضِ الأكبر، ونشهد أنَّ سيِّدنا ونبيَّنَا محمَدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، سيِّدُ البشرِ الشافعُ الْمُشَفَّعُ في المحْشَرِ، ﷺ وبَارَك عليه وعلى آلِه الدُّررِ، وأصحابِه الغُرَرِ، والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ وإيمانٍ إلى يومِ المستقرِ . أما بعد:

فأوصيكم...فمَنَ كَانَ للهِ تَقيًّا صَارَ لَه وَلِيًّا (ومن يتقي الله يجعل له مخرجا)

عباد الله: شَابٌ مِن خِيرَةِ شَبابِ الصحَابةِ، لَمْ تُلْهِهِ دُنيَاهُ عَن آخِرَتِهِ، ولَمْ تُشْغِلْهُ قَرابَتُهُ عن نَبِيِّهِ، ولَمْ تُبْعِدْهُ أموالُهُ عَن دَعوتِهِ، بَل كانَ نَجمًا وقَمرًا، وشمسًا وبَدْرًا، كانَ مَثَلَ صِدْقٍ عَلى عُلُوِّ الهِمَّةِ، وصِدْقِ النِيَّةِ، وقُوَّةِ العَزِيمةِ

كَانَ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ، تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرَقَّهُ، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيَّ مِنَ النِّعَالِ؛ كَانَ رَقِيقَ الْبَشَرَةِ، حَسَنَ الشَّعْرِ، لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، مَا عَرَفَتْ مَكَّةُ مُنَعَّمًا مِثْلَهُ . لعلكم عرفتموه !

إنَّه مُصعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ القُرَشِيُّ ، السَّابِقُ، البَدْرِيُّ ، الشَّهِيْدُ رضي الله عنه.

بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرًّا، فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي، فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ، فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ، وخَرَجَ من النِّعمةِ الوارفةِ التي كان يعيشُ فيها مُؤثِرًا الشَّظفَ والفاقةَ، وأصبحَ الغنيُّ المتأنِّقُ المُعَطَرُ لا يُرى إلاَّ مرتديًا أخشنَ الثيابِ، يأكلُ يومًا ويجوعُ أيَّامًا .

أقبل مصعبُ يومًا وعليه نَمِرةٌ قد وصلَها بإهابٍ يسترُ بها بدنَه النَّحيلَ، فلمَّا رآه أصحابُ النبيِّ ﷺ نكَّسَوُا رُؤوسَهُم رحمةً له، ليس عندَهم من الثِّياب ما يُقدِّمونَه له، فلمَّا أقبلَ على رسولِ اللهِ ﷺ سلَّم ، فردَّ ﷺ السلامَ عليه، وأثنى عليه،

وقال:"الحمدُ للهِ، يُقلِّب الدنيا بأهلِها، لقدْ رأيتُ هذا ومَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْه ثم أخرجَه من ذلك الرَّغبةُ في الخيرِ وحبُّ اللهِ ورسولِه". ابن سعد .

خَرَجَ مصعبٌ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَى، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْ أذاه .

عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا قَبْلَ الهِجْرَةِ يُصِيْبُنَا ظَلَفُ العَيْشِ وَشِدَّتُهُ، فَلاَ نَصْبِرُ عَلَيْهِ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ هَاجَرْنَا، فَأَصَابَنَا الجُوْعُ وَالشِّدَّةُ، فَاسْتَضْلَعْنَا بِهِمَا وَقَوِينَا عَلَيْهِمَا.

فَأَمَّا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَ أَتْرَفَ غُلاَمٍ بِمَكَّةَ بَيْنَ أَبَوَيْهِ فِيْمَا بَيْنَنَا، فَلَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَنَا لَمْ يَقْوَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّ جِلْدَهُ لَيَتَطَايَرُ عَنْهُ تَطَايُرَ جِلْدِ الحَيَّةِ،

وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْقَطِعُ بِهِ، فَمَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَمْشِي، فَنَعْرِضُ لَهُ القِسِيَّ ثُمَّ نَحْمِلُهُ عَلَى عَوَاتِقِنَا.

وعن ليلى بنتِ أبي حَثْمةَ رضي الله عنها، قالت: كان مصعبٌ رقيقَ البشَرةِ ولقد رأيتُ رجليه تَقطرانِ دماً من الرِّقةِ ، فرأيتُ عامراً خلعَ حِذاءَه فأعطاهُ حتى انتهينا إلى السفينةِ...ولقد كنتُ أرى عامرَ بنَ ربيعةَ يَرِقُّ على مصعبٍ رِقَّةً ما يرقُّها على أحدٍ .

تِلْكَ كَانَتْ حَالُ مُصْعَبٍ قبلَ الإسلامِ، وهكَذا صَارَتْ حَالُهُ بعدَ الإسلامِ.

ومَعَ ذَلكَ لَمْ يَمْنَعْهُ نَعِيمُهُ ومَالُهُ وأَهْلُهُ مِن أَنْ يَكونَ عَبدًا للهِ حَقًّا، لَمْ يَمْنَعْهُ تَرَفُهُ مِن أَنْ يكونَ مُتَّبِعًا للنبيِّ ﷺ صِدْقًا.

يقول عمر ﷺ: انظُروا إِلى هَذا الرَّجلِ الَّذي قدْ نوَّرَ اللهُ قَلبَه، لَقد رَأيتُه بَينَ أَبَويْنِ يَغْذُوَانِه بأَطيبِ الطَّعامِ والشَّرابِ، ولَقد رَأيتُ عَليه حُلَّةً شَراها بِمِئتَي دِرْهمٍ، فدَعاه حُبُّ اللهِ ورَسولِه إلى ما تَرونَ. الطبراني وغيره .

أيها المؤمنون: لمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ الهِجْرَةَ إلى الْمَدِينَةِ أَرسَلَ مَنْ يَقْدُمُهُ فِيهَا ويُمَهِّدُ لَهُ، فَمَا كانَ إلاَّ أَنْ أَرْسَلَ أَوَّلَ سَفِيرٍ في الإسلامِ، مُصْعَبَ بنَ عُمَيرٍ، فبعثَ به لِيدعُوهم إلى الإسلام ويُقْرِئَهُم القُرآنَ فكانَ معلمًا، وإمَامَاً لدار الهجرة، وكانت هذه الهجرةَ الثانيةَ له ﷺ .

يَقولُ البَرَاءُ ﷺ:"أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلاَ يُقْرِئَانِنَا القُرْآنَ ". خ.

وأسلمَ على يديه سعدُ بنُ معاذٍ ﷺ وغيرُه ، وأسلمتِ المدينةُ كُلُّها سادةً وأتباعًا، صِغارا وكِبارا، رِجَالا ونساءً، فكانت أولَ مافُتحَ من البلدانِ وفُتحتْ بالقرآنِ على يديّ مصعبٍ، فالأنصارُ كلُّهم حسنةٌ في ميزانِه ﷺ .

قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ وحَضرَتْ غزوةُ بَدرٍ فكانَ مُصْعَبٌ فيمَن شَاركَ فيهَا، بَل كانَ هو حَامِلَ لِواءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والْمُهَاجِرِينَ، ومَرَّ مُصعَبٌ بأنصاريٍّ قد أَسَرَ أخاه، فقال للأنصاريّ: شُدَّ يَدَيكَ بِهِ؛ فإنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلَّها تَفدِيه مِنكَ .

وجَاءَ يومُ أُحُدٍ وحَدَثَ مَا حدثَ فيهِ ، وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ دُوْنَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيُّ ضربَهُ على يدِه اليمنى فقطَعها، ثم حَملَ اِللواءَ بيدِه اليسرى فضربَه عليها

ضربةً فقطعَها، ثم حَنا على اللواءِ فضربَه ضربةً فخرَ شهيداً ﷺ وهو ابنُ أربعينَ سَنةً، في رَيْعَانِ شبابِه وفُتوَّتِه، ماتَ مِيتةَ الأبطالِ، وهو عندَ اللهِ تعالى من الشُّهداءِ الأبرارِ.

انْتَهَتْ غَزوَةُ أُحُدٍ، ووَقَفَ الرسولُ ﷺ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ مُنْجَعِفٌ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّكُمُ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". رواه ابنُ سعدٍ.

قتلَ مُصعَبٌ شهيداً فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَدْفِنُونَهُ بِهِ مِنَ الثِّيَابِ. فعن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ ﷺ قَالَ:"هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، وَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ

شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا نُكَفِّنُهُ فِيهِ إِلَّا نَمِرَةً، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، فَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ بِهَا، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ إِذْخِرٍ". خ.م.

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ أُتِيَ يَوْمًا بِطَعَامِهِ وهو صائمٌ ، فَقَالَ: "قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ...ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي وترك الطعامَ ".

بالأَمسِ كانَ مصعبُ أَغْنَى النَّاسِ وأَنعَمَهُم، واليومَ لا ثِيابَ تَكفِي كَفَنَهُ وهَكَذا الدُّنيَا إذا عَرفَ المرءُ قدرَها وعلم أنَّ ما عند اللهِ خيرٌ وأبقى!!

لقد قضى مصعبُ نَحبَهُ، وباع الدُّنيا ففازَ بالآخرةِ، وقدَّمَ الرَّخيصَ فَظَفَرَ بالغالي، سَقَطَ جَسَدُهُ وتقطَّعت أوصالُهُ !وَحَلَّقَتْ رُوحُه إلى بارئِها.

(إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) بارك الله لي ...

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ..أَمَّا بَعْدُ:

عبادَ اللهِ: قَد سَمِعْتُمْ سِيرةَ جَبَلٍ أَشَمٍّ، وبَطَلٍ مِغوَارٍ مِنْ أَبطَالِ الإِسلامِ، وعَلينَا جَمِيعًا أَنْ نستَخْلِصَ مِنَها الْعِبَرَ، لا سِيَّمَا وأَنَّهُ شَابٌّ تَركَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، وأَعْرَضَ عَن زُخْرُفِهَا، حتَّى صَارَ إِلى فَقْرٍ مُدْقِعٍ وَعَوَزٍ شَدِيدٍ .

يقُولُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ: "كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِي خِدْنًا وَصَاحِبًا مُنْذُ يَوْمَ أَسْلَمَ إِلَى أَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ، خَرَجَ مَعَنَا إِلَى الْهِجْرَتَيْنِ جَمِيعًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَكَانَ رَفِيقِي مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَرَ رَجُلًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا، وَلَا أَقَلَّ خِلَافًا مِنْهُ".

لَقَدْ كانَ مُصْعَبٌ ﷺ مِثَالَ المؤمنِ الصَّادِقِ معَ نفْسِهِ، الصادقِ في إِيمَانِهِ، الخَائِفِ مِنْ ربِّهِ، المُخْلِصِ في إِرَادَةِ اللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ، كانَ مِثَالَ الرَّجُلِ الشُّجَاعِ الذي بَاعَ نفسَهُ للهِ، وَوَهَبَ حياتَهُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، مِثَالَ المؤمنِ الصَّادِقِ في حُبِّهِ لِلرَّسولِ ﷺحبًّا لهُ جُذُورُه في القَلْبِ، ومَظْهَرُه وثِمَارُه في القَولِ والعَمَلِ حتَّى لَقِيَ اللهَ مُدافِعًا عن رسُولِهِ ﷺ.

شبابَ الإسلام: تلكم هي سيرةُ الصحابيِّ الجليلِ مصعبِ بنِ عميرٍ ﷺ شابٌ كانَ في أولِ أمرهِ في جاهليةٍ جهلاءَ، خاملَ الذكرِ، قاصرَ الهمةِ، لا يُعرف إلا بالترفِ والنعومةِ، فلما دخلَ في الإسلامِ، ارتفعَ ذكرُه، وعلا قدرُه، وأصبحَ مضربَ المثلِ في كلِّ

أمرٍ جميلٍ، فهل لشبابِنا أن يتخذوه قدوةً ومثلاً يُحتذى؟ يتغنونَ بسيرتِه العطرةِ، وبطولاتِه الفخمةِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُلْحِقَنَا بالصَّحْبِ الكِرَامِ، وأَن يَجْمَعَنَا بِهِمْ غيرَ فَاتِنِينَ وَلا مَفْتُونِينَ ولا مُبَدِّلِينَ. ثم صلوا ...